الفصـــــل الأول

عصر الولاة

أَبْرَهَة بن الصَّبّـــاح الأَصْـــبَحيّ [1]

أربعة ذكرهم ابن حَجَر العَسْقلانى فى كتابه «الإصابة فى تمييز الصحابة» ، فى القســم الأول الذى أفرده لمن وردت صحبته بطريق الرواية عنه أو عن غيره ، ســواء كــانت الطريقة صحيحة أو حسنة أو ضعيفة، أو وقع ذكره بما يدل على الصحبة بأى طريق كان، وكلٌ منهم يدعى أبرهة. ولكن اثنين منهم لا يتصلان بما نعتزم من دراسة ، ولم يزد ابن حجر شيئا على ذكر اسمهم الأول .

وأول الرجلين اللذين ذكرهما يسمى «أبرهة بن الصباح» ووصـــــفه «بالحبشى أو الحميرى» . ولم ينفرد ابن حجر بهذه التسمية ، بل أوردها نصر بن مــزاحم فى وقعة صفين والطبرى فى تاريخه وابن الأثير فى الكامل وابن عساكر فى تاريخ دمشق وابن حزم فى جمهرة أنساب العرب .

والـــثانى «أبرهة بن شُرَحْبِيل بن أبرهة بن الصباح» . وتردد ابن حجر فى الصلة بين الرجلين، فقال عن الأول : "وما أدرى أهو جــد الذى قبلــــــه [أى أبــرهة بن شرحبيل] أو غيره. ثم ظهر لى أنه غيره، فقد ذكــره ابن الكلبى فقــال : إنـــه كان ملك تهامة" . وكنا نستطيع أن نطمئن إلى ما اهتدى ابن حجر أخـــيرا إليـــه، ونفرق بين الرجلين لولا أمران. فاستدلاله بما قال ابن الكلبى غير

---

[1] نشر فى منبر الإسلام ــ العدد ١١ ــ أبريل ١٩٦٣ م

صـــحيح ، لأن أبـــرهة بن الصباح الذى ملك تهامة، بعيد العهد عن الإسلام، ولا يعقل أن الزمن قد تأخر به إلى أن أسلم وأتى بما ينسب إلى سَمِيِّه. وليس بعيدا أن هـــذا الملك جدّ الرجل الذى نتحدث عنه . كذلك يذكر المؤرخون أعمالا واحدة يعزونها تارة إلى هذا الرجل، وتارة إلى ذلك.

كـــل ذلـــك رجّـــح لدى أن الاسمين ـــ فى الحقيقة ـــ لمسمى واحد، وأن الأقدمـــين ذكـــروا الاســـم مفصلا مرة فقالوا: «أبرهة بن شُرَحْبِيل بن أبرهة بن الصـــباح» ، وذكـــروه مجملا أخرى فقالوا : «أبرهة بن الصباح» ، وليس ذلك بالأمر الغريب فما أكثر ما فعلوه.

فإن ارتضينا ذلك اتسقت لنا الترجمة الآتيـة للرجل :

كـــان مـــن بطون حِمْيَر من قبائل اليمن بطنٌ صاهَرَ أبرهة الأشرم الحبشى ملك اليمن، وخرج من رجاله رجال بسطوا نفوذهم على مناطق من اليمن ، فنال مـــن الشـــهرة ما اعترفت به قبائل العرب فى اليمن وغيره، وحاز من الشرف مالم ينازعهم فيه أحد، ذلك البطن هو ذو أصبح. وبين ظهرانيهم نشأ أبرهة، فكان من زعمائهم وأشرافهم بل عَدّه بعضهم أشرفهم. فقد ذكر نصر بن مزاحم وابن الأثير أن أبـــا موســـى الأشـــعرىّ، وهو يمنى، لما تلاحى هو وعمرو بن العاص فى أثناء التحكـــيم بـــين على بن أبى طالب ومعاوية بن أبى سفيان قال عمرو لأبى موسى الأشـــعرى: " يا أبا موسى، ألست تعلم أن عثمان قُتل مظلوما؟ " قال " "أشهد" . قـــال عمـــرو: " ألست تعلم أن معاوية وآل معاوية أولياؤه؟ " قال : "بلى" . قال عمـــرو : " فمـــا يمنعك منه وبيته فى قريش كما قد علمت. فإن خفت أن يقول الـــناس : ليســـت له سابقة، فقل : وجدته ولىّ عثمان الخليفة المظلوم، والمطالب بدمه، الحسن السياسة والتدبير، وهو أخو أم حبيبة زوج رسول الله صلى الله عليه

وســـلم، وكاتبه، وقد صحبه" . وعرَّض له بسلطان. فقال أبو موسى: "ياعمرو ، اتـــق الله، أمـــا مـــا ذكرت من شرف معاوية فإن هذا [أى الخلافة] ليس على الشـــرف تولاه أهله، ولو كان على الشرف لكان لآل أبرهة بن الصباح، إنما هو لأهـــل الديـــن والفضـــل٠٠٠" . وإذن فقد بلغ أبرهة فى نظر أبى موسى ـــ من الشـــرف مـــا اســـتحق به أن تكون الخلافة فيه وفى أهله دون غيرهم من العرب المسلمين.

وأســـلم أبـــرهة فعرف له الرسول صلى الله عليه وسلم مكانته. فقد ذكر الرُّشـــاطى فى الأنســـاب أنه وفد على النبى صلى الله عليه وآله وسلم ففرش له رداءه، تكرمة وتجلة له.

ولست أدرى ـــ على وجه اليقين ـــ تاريخ إسلام أبرهة، ولكن يغلب على ظـــنى أنه أسلم فى عام الوفود ، فى سنة ٩ هـــ ، وأنه عاد مع وفد قومه إلى موطنه اليمن بعد إسلامه.

ولما خرجت الجيوش العربية من الجزيرة إلى الفتوح كان فى الجند المتجه إلى الشام، وإن كنا لا نعرف المعارك التى اشترك فيها فى هذه البلاد.

وعـــبّأ عمرو بن العاص جيشا أغلبه من عرب اليمن، اتجه نحو مصر. فكان أبـــرهة أحد قواد هذا الجيش . فبعثه عمرو على رأس الفرقة التى حاصرت مدينة الفَـــرَما نحـــو شـــهر ثم فتحتها. وكانت الفرما مدينة حصينة، ولكنها أخذت فى الـــتدهور حتى زالت ولم يبق منها اليوم غير آثار تعرف بتل الفرما على بعد ثلاثة كيلومـــترات من ساحل البحر الأبيض المتوسط، وعلى بعد ٢٣ كيلو مترا شرقى محطة الطينة الواقعة على السكة الحديدية بين بورسعيد والإسماعيلية.

وتدخـــلت القصص الشعبية فأرادت أن تعلل تدهور الفرما، بينما تزدهر مـــدن أخـــرى مماثلة لها ولكنها على الجانب الغربى من الساحل المصرى. فقيل إن

عمـــرو بـــن العـــاص أرسل عوف بن مالك إلى الإسكندرية كما أرسل أبرهة إلى الفـــرما. فقال أبرهة لأهل الفرما بعد الفتح : "ما أخلَق مدينتكم ، يا أهل الفرما!" فقـــالوا: إن الفرما قال : إنى أبنى مدينة، عن الله غنية، وإلى الناس فقيرة. فذهبت بهجـــتها" . وقال عوف بن مالك لأهل الإسكندرية: "ما أحسن مدينتكم ، يا أهل الإســـكندرية!" فقـــالوا: " إن الإسكندر قال: إنى أبنى مدينة، إلى الله فقيرة، وعن الـــناس غـــنية. فـــبقيت بهجتها" . وقالت القصص الشعبية إن الإسكندر والفرما أخـــوان بنى كل منهما المدينة التى سميت باسمه. ومن الطبيعى أن أصحاب القصص الشعبى كانوا يعللون بخيالهم تلك الظاهرة التى يسببها طمى النيل، فإن تراكمه أمام الفـــرما جعـــل البحر يتباعد عنها شيئا فشيئا حتى خلّفها وراءه فى البر إلى جانب إهمالها لما صارت مصر والشام خاضعتين لدولة واحدة.

ولا ندرى ـــ على وجه اليقين ـــ المدة التى قضاها أبرهة فى مصر، بل تأخذ أخـــباره فى القـــلة ، ويـــبدأ شخصه فى الاختفاء حتى يختلط بشخص ابنه المسمى أباشمـــر. فقد مضى عهد عمر بن الخطاب وعثمان بن عفان، وقامت الفتنة واتسع نطاقهـــا فشمل العالم الإسلامى كله. وكان من رءوسها محمد بن أبى حذيفة الذى أشـــعل مصر نارا لم تخمد، واستطاع أن يستخلصها من يد والٍيها عبد الله بن سعد ابن أبى سرح.

وفى شـــوال سنة ٣٦ هـــ ، سار معاوية بن أبى سفيان على رأس جيش إلى مصـــر . فخـــرج إليـــه محمد بن أبى حذيفة وأهل مصر ليمنعوه. ثم تختلف أقاويل المؤرخـــين فمنهم من يذكر أن الجيشين التقيا فى عدة معارك انهزم فيها محمد هزيمة غـــير فاصـــلة ـــ فيما يبدو ـــ ومنهم من يذكر أن معاوية بعث إلى محمد يقول : "إنـــا لانريد قتـــال أحد، إنما جئنا نسأل القود بدم عثمان، ادفعوا إلينا قاتليه: عـــبد الرحمن بن عديس، وكنانة بن بشر " . فامتنع محمد وقال : "لو طلبت منـــا

جديـــا رطب السرة بعثمان ما دفعناه إليك" . فقال معاوية : "اجعل بيننا وبينكم رهنا، فلا يكون بيننا وبينكم حرب" . فقال محمد : "فإني أرضى بذلك".

واســـتطاع معاوية بالحيلة أو الحرب أن يأخذ من أهل مصر رهنا كان فيهم محمد بن أبي حذيفة، وعبد الرحمن بن عديس، وكنانة بن بشر، وأبرهة بن الصباح أو ابـــنه على اختلاف من المؤرخين وغيرهم. وحبس معاوية هؤلاء الرهن فى مدينة اللد من فلسطين، وسار هو إلى دمشق. فلبثوا فيه قليلا ثم هربوا جميعا ماعدا أبرهة وقال : "لا أدخله أسيرا وأخرج منه آبقا" . وقد تتبع جند معاوية الفارين فلحقوا بهـــم وقتلوهم جميعا، حتى محمد بن أبي حذيفة الذى لم يكن معاوية راغبا فى قتله لما بينهما من قرابة. وقيل: إن معاوية سأل أبرهة بن الصباح : "مامنعك أن تخرج مع أصـــحابك؟" فقال: "مامنعنى منه بغض لعليّ ولا حب لك، ولكنى لم أقدر عليه" . فخلى سبيله.

والـستقى معاوية وأبرهة لقاء آخر، اختلف فيه المؤرخون أيضا. فقد اتفقوا عـــلى أن أبـــرهة كان له نصيبه فى وقائع صفين. ثم ذهب الذهبى إلى أنه كان من أنصـــار عـــلى بن أبي طالب، وأنه ختم حياته فى تلك الحروب. وذهب نصر بن مزاحم المنقرى مؤرخ وقعة صفين الشيعى إلى أنه كان من رؤساء أصحاب معاوية. ولم يـــبين ما إذا كان قُتل فى صفين أو لم يقتل. ولكنه ذكر أنه أتى بما جعل معاوية يبغضـــه، حين قام خطيبا فى أهل الشام فقال : "ويلكم ، يا معشر أهل اليمن! والله إني لأظـــنّ أن قد أُذن بفنائكم. ويحكم ! خلوا بين هذين الرجلين فليقتتلا، فأيهما قـــتل صاحبه ملْنا معه جميعا " . وبلغت مقالة أبرهة عليا، فقال : "صدق أبرهة بن الصـــباح ! والله مـــا سمعت بخطبة ـــ منذ وردت الشام ـــ أنا بها أشد سرورا مني بهـــذه" . أمـــا معاويـــة الذى كان يخاف من مبارزة عليّ فقال : "إني لأظنّ أبرهة مصابا فى عقله" . فقال أبرهة :

لقد قال ابنُ أبرهةٍ مقـــالا وخالَفَه معاويةُ بنُ حربِ
لأنّ الحقّ أوضحُ من غرور ملبَّسةٍ غرائضـــهُ بحقْبِ
رمى بالفيلقين به جهـــارا وأنتم وُلْد قحطانٍ بحرب
فخلوا عنهما ليَنْيْ عراكٍ فإن الحق يدفع كل كذب

وقـــال ابـــن عساكر: إن المدائنى ذكر أن أبرهة بن الصباح كان عند عبد المـــلك بن مروان فاستشاره عندما عزم على قتل عمرو بن سعيد. ثم أنكر القصة، وخطّأ المدائنى، وصرح بأن الذى كان عنده هو ابنه كريب.

وإلى هـــنا تنـــتهى حيـــاة ذلـــك الـــرجل الذى أوقع المؤرخين فى الحيرة والاضطراب والأخطاء منذ ظهر على صفحات التاريخ إلى أن اختفى منها، تنتهى حيـــاة ذلـــك الرجل الذى كان يعد من الحكماء بعد أن خلّف لنا أحاديث صرح الهمـــدانى فى النسب أنه كان يرويها عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم، وخطبة ليـــزيد بـــن أســـد البجلى من أنصار معاوية فى صفين، ومنظومته الواهنة السابقة الذكر، وأربعة أبناء أقاموا جميعا فى مصر، وكانت لهم أنصبتهم فى أحداثها.

*****

أبيض بن حمال المأربى [1]

هـــذا صحابى يحيط به الظلام ، ويكاد يغطى جميع أطراف حياته، فلا يظهر منها للضوء إلا لحظات قلائل لا تكفى لجعله الشخص المنفرد.

ذكـــره أقدم مؤرخين مصريين أو اثنان من أقدم المؤرخين المصريين. فأورده عـــبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الحكم (المتوفى ٢٥٧هـــ) فى أقدم تاريخ مصرى عـــربى بـــين أيدينا : كتاب «فتوح مصر والمغرب» . ووضعه بين الصحابة الذين دخـــــــلوا مصر، دون أن يحدد تاريخا لهذا الدخول. واقتصر على اسمه الأول : « أبيض » .

ويبدو أن عبد الرحمن بن أحمد بن يونس الصدفى (المتوفى ٣٤٧هـــ) لم يزد عليه. فما نقله عنه ابن حجر فى «الإصابة» والســـــيوطى فى «حسن المحاضرة» لا يضيف غير تأكيد ما أورده الأول.

ولمـــا كـــان فى الصـــحابة جماعـــة يسمون أبيض كمـــا قال النووى فى كتـــــابه «تهذيب الأسماء واللغات» ، وكما يبين من كتب تراجم الصحابة، فقد حار المؤرخون فى «أبيض» هذا ، وكثر الخلط بصدده.

فقطـــع يحيى بن عثمان (المتوفى ٢٨٢هـــ) أنه «أبيض بن حمال المأربى» . وتوقـــف ابن حجر وقال : " لا أدرى هو أبيض بن حمال أو غيره . ولكن البخارى أفرد لكل واحد منهما ترجمة خاصة " .

---

[1] نشر فى منبر الإسلام ـــ يولية ١٩٦٣م

واعتمد ابن الأثير فى أسد الغابة على هذا حين قطع بأن أبيض المذكور غير أبيض بن حمال، واحتاط ابن حجر بعد توقفه، وفعل ما فعله البخارى، غير أنه أضاف ما زاد المشكلة تعقيدا. فقد ترجم لأبيض ثالث، وقال عنه : "يحتمل أن يكون هو الذى قبله" وجعل المصريين يروون عنه حديثا غير ما رووا عن أبيض الأول، وغير ما يروى عن أبيض بن حمال. فصار الاختلاط أمامنا بين ثلاثة رجال لا رجلين. ولكننا لن نقف طويلا عند «أبيض» الثالث ، لأن ما أورده عنه ابن حجر ضئيل لا يجعله شخصا منفردا عن السابقين.

أما «أبيض» الأول، فقد أجمع كل من كتب عنه على أن اسمه كان «أسود» . فغيره النبى صلى الله عليه وسلم إلى «أبيض» وكثيرا ما كان النبى صلى الله عليه وسلم يفعل ذلك.

قال أبو داود فى سننه (٢ : ٣٢١) : «وغير النبى صلى الله عليه وسلم أسماء العاص وعزير وعتلة وشيطان والحكم وغراب وشهاب، فسماه هشاما، وسمى حربا سلما، وسمى المضطجع المنبعث، وأرضا تسمى عفرة سماها خضرة، وشعب الضلالة سماه شعب الهدى، وبنو الزينة سماهم بنى الرشدة» .

ولا تضم القائمة السابقة كل الأسماء التى غيرها النبى صلى الله عليه وسلم. فقد روى البخارى (طبعة ليدن ٤: ١٥٧) أن المنذر بن أبى أسيد حين ولد، أتى به أبوه إلى النبى صلى الله عليه وسلم، فقال: ما اسمه؟ فقال أبوه : فلان . فقال صلى الله عليه وسلم: لا، ولكن اسمه المنذر.

وفعل ذلك مع أبناء على بن أبى طالب: الحسن ، والحسين ، والمحسن، الذى أراد أبوهم أن يسمى كلا منهم حربا، فلم يوافق عليه الصلاة والسلام، وأطلق عليهم أسماءهم التى نعرفها.

وكـــان لعمر بن الخطاب ابنة تسمى عاصية، فسماها النبى صلى الله عليه وسلم جميلة.

وذكـــر أبو داود أن رجلا يقال له أصرم كان فى نفر أتوا رسول الله صلى الله عـــليه وسلم، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ما اسمك ؟ قال: أنا أصرم، قال : بل أنت زرعة.

ومـــن المستطاع عند التأمل فى الأسماء التى غيرها عليه الصلاة والسلام أن نهـــتدى ســـريعا إلى أسباب هذا التغيير. فهى أسماء قبيحة، أو تبعث على التشاؤم، أو تعطى إيحاء غير طيب لا يتفق مع الدعوة الاسلامية أو الخلق الاسلامى.

وتوجـــد بعض الأسماء التى قد تغيب الحكمة فى تغييرها عنا، فأوضح صلى الله عليه وسلم سبب التغيير. ذكر أبو داود أن هانئا لما وفد إلى رسول الله صلى الله عـــليه وسلم مع قومه سمعهم يكنونه بأبى الحكم فدعاه رسول الله ـــ صلى الله عليه وســـلم ـــ فقال : أن الله هو الحكم وإليه الحكم، فلم تكنى أبا الحكم؟ فقال : إن قومـــى إذا اختـــلفوا فى شـــىء أتونى فحكمت بينهم، فأُرضى كلا الفريقين. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ما أحسن هذا! فما لك من الولد؟ قال: لى شريح ومسلم وعبد الله . قال : فمن أكبرهم؟ قال : شريح . قال : فأنت أبو شريح.

وفى الصـــحيحين عن أبى هريرة أن زينب كان اسمها برة، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: تزكى نفسها! وسماها زينب.

وروى مســـلم (٦ : ١٧٣) عن ابن عباس أن جويرية كانت اسمها برة، فحول رســـول الله صلى الله عليه وسلم اسمها جويرية، وكان يكره أن يقال خرج من عند برة.

وقـــال سمـــرة بن جندب: نهانا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن نسمى رقيقـــنا بأربعـــة أسماء: أفلـــح ورباـــح ويســـار ونافـــع. فانك تقول : أثم هو ؟ (هل هو موجود؟) . فيقال: لا.

ولم يقتصر النبى صلى الله عليه وسلم على تغيير الاسم الذى يستهجنه بل كان يحث المسلمين على حسن التسمية. قال أبو الدرداء: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إنكم تدعون يوم القيامة بأسمائكم وأسماء آبائكم، أحسنوا أسماءكم».

وضـــرب الأمثـــلة بما يحث عليه من أسماء. روى ابن عمر: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن أحب أسمائكم إلى الله عبد الله وعبد الرحمن».

ولا يختلف المؤرخون كثيرا فى أبيض بن حمال، وما قام به من أحداث. فقد أجمعـــوا على نسبه وموطنه. فهو أبيض بن حمال بن مرثد بن ذى لحيان، من الشطر الـــذى أقام باليمن من بنى الأزد ولم يهاجر إلى بقية أرجاء شبه الجزيرة العربية، بعد سيل العرم ، وما أصاب اليمن من كوارث. وموطنه مأرب.

وفى أواخـــر ســـنة ٩ هـــ، بعد أن غزا النبى صلى الله عليه وسلم تبوك فى رجب وأسلم بنو ثقيف فى رمضان، تقاطرت وفود القبائل العربية على المدينة لتعلن قـــبولها الإســـلام وانقيادهـــا لسلطة النبى صلى الله عليه وسلم . فجاء من اليمن الجارود فى بنى عبد القيس، وفروة بن مسيك فى بنى مراد، وعمرو بن معد يكرب فى زبيـــد، والأشعث بن قيس فى بنى كندة، وصرد بن عبد الله فى بنى الأزد، ورسل مـــلوك حمير. ويذهب أكثر المؤرخين إلى أن أبيض كان فى وفد الأزديين. ويبدو أنه كـــان على شىء غير قليل من الغنى والمكانة. فقد قال ابن سعد عنه : «أسلم على ثلاثة إخوة من كندة كانوا عبيدا له ، وصالح رسول الله صلى الله عليه وسلم على ســـبعين حـــلة» . وذكر النووى أن جماعة أخرى من المؤرخين ترى أنه لم يفد على

النبى صلى الله عليه وسلم فى المدينة، وإنما لقيه فى مكة فى حجة الوداع، وكانت فى العام نفسه.

ووقع فى هذا اللقاء أمران يدلان على مكانة أبيض بن حمال عند النبى صلى الله عليه وسلم .

فقد روى أبيض أن حزازة ــ أى قوباء ــ كانت قد أصابته فى وجهه، واتسعت حتى كادت تأتى عليه كله، فلما رآه النبى صلى الله عليه وسلم دعاه، فمسح على وجهه. فلم يمس ذلك اليوم وبه أثر منها.

وانتهز أبيض فرصة رضى النبى صلى الله عليه وسلم عنه، فسأله أن يهب له ملح مأرب.

وقد وصف الهمدانى ذلك الموضع فقال : «جبل الملح فى بلاد مأرب، ولا نظير له، وهو ملح ذكر، ذو جوهرية وصفاء كالبلور، وهو الملح البرى». ولم يكن النبى صلى الله عليه وسلم على معرفة بالمنطقة ولا بأهمية الموضع، فاستجاب لسؤال أبيض. ولكن أحد الجالسين إليه نبهه فقال : يا رسول الله ، أتدرى ما أقطعته ؟ إنما أقطعته الماء العد (اى الماء الجارى الذى لا ينقطع) . فاسترجع النبى صلى الله عليه وسلم الرجل، وأرضاه بأرض وماء فى جوف بنى مراد حتى تنازل له عن هبته.

وعاد أبيض بن حمال إلى بلدته باليمن. وأقام بها إلى أن كانت الفتنة الأولى: الردة، وتفرقت أهواء أهل اليمن، فكان منهم من حافظ على إيمانه، وأدى جميع شعائره، ومنهم من افتتن.

ويبدو أن أبيض كان من الأولين، إذ قال ابن حجر : «روى الطبرانى أنه وفد على أبى بكر لما انتقض عليه عمال اليمن، فأقره أبو بكر على ما صالح عليه النبى صلى الله عليه وسلم من الصدقة. ثم انتقض ذلك بعد أبى بكر وصار إلى الصدقة» .

ثم يستحكم الظلام ويتكاثف حول أبيض بن حمال، فلا نستطيع أن نستشف من ورائه شيئا من وقائع حياته فى بقية عهد أبى بكر وعمر غير ما وقع من خلاف ــ سبق ذكره ــ بين المؤرخين بصدد شهوده فتح مصر .

ووضع ابن حزم فى رسالته المسماة «أسماء الصحابة الرواة وما لكل واحد من العدد» أبيض بن حمال بين أصحاب التسعة أى الذين رووا تسعة أحاديث. وذكر النووى أن حديثه كان عند أولاده، ولكن غير النووى حدد فقال إن ابنه سعيدا هو الذى روى عنه.

وشارك ابنه فى هذه الرواية سمير بن عبد المدان . وصرح ابن عبد الحكم بأن المصريين رووا عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أحاديث، كلها أغربوا بها. ونتبين من تراجمه أن أصحاب السنن الأربعة وابن حبان رووا أحاديثه.

*****

أبيض بن هُنَى [1]

هذا رجل ذكره الذهبي فى التجريد، وابن الأثير فى أسد الغابة، وابن حجر فى الإصـــابة، واتفقـــوا على أنه من الصحابة . بل اتفقوا على الفقرة القصيرة كل القصر التى أوردوها عنه. ويبدو أن المتأخر منهم تلقفها عن المتقدم، ولم يزدها بحثا، ولا أضاف إليها جديدا وربما فعل المتأخر ذلك،ولكن بحثه ذهب أدراج الرياح، إذ لم يـــؤد به إلى أكثر مما قال المتقدم، وهو قول لا يعطينا كثيرا عن الرجل، بل يعطينا أقل القليل.

ولعـــل ذلك يثير دهشة فى قارئ: كيف يخفَى رجل من صحابة رسول الله ـــ صـــلى الله عـــليه وسلم ـــ وتتوارى أحداث حياته، عن أنظار الكتاب، حتى يصير رجلا مبهما مثل أبيض بن هُنَى ؟

ولكـــن الدهشة لا تلبث أن تزول حين نحاول أن نجيب عن هذا السؤال، فنتتبع كتب الصحابة، وما سلكته من مناهج فى معرفتهم، وجمع أخبارهم.

وأول ما يبدو واضحا أمام الباحث أننا أمام وفرة من الكتب التى تعرضت للصـــحابة مفردة لهم، أو غير مفردة، وأن المؤرخين عنوا بتأريخ الصحابة منذ زمن مـــبكر، وأنهـــم لم يقتصروا على التاريخ المجرد بل تبينوا منهم أصنافا، أفردوا كلا منها، وتحدثوا عنه، وخصوه بالتأليف.

والمعـــروف أن أول مـــن ألف فى الصحابة هو الهيثم بن عدى (حوالى ١٣٠ ـــ ٢٠٧ هـــ) ثم محمـــد بن عمر الواقدى (١٣٠ ـــ ٢٠٧هـــ) ، ثم محمد بـــن

---

[1] نشر فى منبر الإسلام ـــ أكتوبر ١٩٦٣م

سعد (١٦٨ ــ ٢٣٠هـ)، وقد بقى كتابه «الطبقات الكبير» ، وطبع فى ليدن وبيروت، وتوالت المؤلفات بعد ذلك وتعددت.

ومن الذين قصدوا إلى ناحية خاصة من الصحابة، وعالجوا صنفا معينا منهم، الإمام ابن حزم (٣٨٤ــ٤٥٦ هـ) ، الذى أفرد رسالة خاصة «لأسماء الصحابة الرواة وما لكل واحد من العدد» ، وأخرى « لأصحاب الفتيا من الصحابة ومن بعدهم» ، ومحمد بن الربيع الجيزى وجلال الدين السيوطى اللذين أرخا لمن دخل مصر من الصحابة خاصة.

ولم يكن تناول هؤلاء المؤلفين للصحابة تناولا عفويا أو عشوائيا ، بل وضعوا أمام أنفسهم مفهوما محددا لمن يتشرف بحمل لقب "الصحابى". الذى يعده المسلمون من أشرف الألقاب. وبسبب هذا الشرف الذى يغدقه على حامله، وقعت بعض خلافات بين العلماء فى مفهومه. تكشف عن طباع أصحابها من التسامح والتشدد. فالأول يتسع به ليشمل كثيرين كان لهم شرف الاتصال بالرسول الكريم ــ صلى الله عليه وسلم ــ مهما كان لون هذا الاتصال وحقيقته. والثانى يضيق نطاقه حتى لا يحظى به إلا قليلون.

فقد ذهب جمهور العلماء إلى أن كل من رأى الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ يلقب بالصحابى. ونص على أن مجرد الرؤية كاف البخارى، وأبو زرعة، وغير واحد ممن صنف فى أسماء الصحابة كابن عبد البر، وابن حجر. وفعلوا ذلك "لشرف رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ وجلاله وقدره وقدر من رآه من المسلمين " .

وفرق بعض الذين وسعوا مفهوم الصحابى بين الصحابة، عند الرجوع إليهم فى الأمور الخاصة، فأطلقوا القول حينا، وقيدوه ببعض الشروط فى أحيان أخرى تتعلق بأمور الدين.

قـــال ابن حجر : «وأطلق جماعة أن من رأى النبى ـــ صلى الله عليه وسلم ـــ فهـــو صـــحابى ، وهو محمول على من بلغ التمييز، إذ من لم يميز لا تصح نسبة الرؤية إليه. نعم ، يصدق أن النبى ـــ صلى الله عليه وسلم ـــ رآه، فيكون صحابيا من هذه الحيثية. ومن حيث الرواية يكون تابعيا» . فالرؤية كافية عند القول العام، ولكـــن لا تكفـــى عـــند رواية الحديث، بل يجب أن يكون الصحابى قد دخل سن التمييز عند ما رأى النبى ـــ صلى الله عليه وسلم ـــ وسمع منه .

وأضـــاف بعض هؤلاء المتوسعين شرطا آخر، استبعد به غير المسلمين من مشاهديه. قال ابن حجر : " أصح ما وقفت عليه من ذلك أن الصحابى : من لقى النبى ـــ صلى الله عليه وسلم ـــ مؤمنا به ، ومات على الإسلام ... " .

ولم يرض بعض العلماء عن الرؤية المجردة، واشترط أن يقترن بها أن يروى الرجل حديثا أو حديثين عن النبى ـــ صلى الله عليه وسلم ـــ فإن فعل الرجل ذلك كان "صحابيا" ، وإلا فلا .

وأضيق ما كان نطاق مفهوم الصحابى، عند سعيد بن المسيب، الذى قال : لا بد من أن يصحبه سنة أو سنتين، أو يغزو معه غزوة أو غزوتين" . ويبدو أن أنس بـــن مـــالك كان من هذا الرأى. فقد سأله موسى السبلانى: هل بقى من أصحاب رسول الله ـــ صلى الله عليه وسلم ـــ أحد غيرك؟ فقال : ناس من الأعراب رأوه ، فأما من صحبه فلا.

وأبـــان العـــلماء الطـــريق إلى تطبيق هذا المفهوم، ومعرفة على الصحابة. فوضعوا أمامنا عدة طرق إلى ذلك. فأولها وأعلاها التواتر، وهو الطريق الذى عرَّفنا بالصـــحابة العشـــرة المبشـــرين بالجنة وغيرهم من الصحابة المعروفين. ثم الأخبار المستفيضـــة، التى عرفتنا بأمثال ضمام بن ثعلبة، وعكاشة بن محصن. ثم شهادة أحد الصـــحابة المعروفين لرجل آخر بأنه كان له صحبة. كما شهد أبو موسى الأشعرى

لحممــة بن أبى حممة الدوسى. ثم روايته عن النبى ــ صلى الله عليه وسلم ــ سماعا أو مشاهدة مع المعاصرة. ثم شهادته لنفسه بأنه صحابى، بشرط أن يكون عدلا. وفى الطريق الأخير خلاف مع العلماء.

وبعــد أن اســتقر العــلماء على المفهوم، والطريق إلى تطبيقه، بحثوا عن الصــحابة، منذ أن كانوا إلى أن لم يعد لهم وجود. واتفقوا على أن السيدة خديجة بنت خويلد كانت أول من آمن به من النساء ، فكانت أول صحابية، وأن زيد بن حارثــة أول مــن آمن من الموالى، وبلال بن رباح أول من آمن من الأرقّاء، وأن ســلمانا أول فارســى، وصــهيبا أول رومى. فكانوا أول من تلقب بالصحابى من الفئات والأجناس التى ينتمون إليها. واختلف الرأى بين أبى بكر الصديق وعلى بن أبى طــالب، ويكاد يستقر الرأى على أن الأول أول من آمن من الرجال، والثانى أول من آمن من الصبيان.

وحــاول العــلماء أن يتعرفوا آخر الصحابه موتا، فذهب بعضهم إلى أنه أنــس بــن مالك. وبعضهم الآخر إلى أنه أبو الطفيل عامر بن وائلة الليثى. وعدل عــلماء آخرون عن الإطلاق، ونظروا إلى موضع موضع من الأماكن التى أقام بها الصحابة. فاتفق أكثرهم على أن عامر بن وائلة أو عبد الله بن عمر آخر من مات من الصحابة بمكة، وجابر بن عبد الله أو سهل بن سعد أو السائب بن يزيد آخرهم بالمدينة، وأنس بالبصرة، وعبد الله بن أبى أوفى بالكوفة، و عبد الله بن بسر بحمص . ووائلة بن الأسقع بدمشق، وعبد الله بن الحارث بن جزء بمصر، والهرماس بن زياد بالــيمامة ، والعــرس بن عميرة بالجزيرة، ورويفع بن ثابت بأفريقية، وسلمة بن الأكوع بالبادية.

وفاضل العلماء بين الصحابة ، فقدموا الخلفاء الراشدين مع الخلاف بينهم فى شـــأن على بن أبى طالب وتقديمه على أبى بكر ثم عثمان. وقدموا بعدهم العشرة ثم أهل بدر ثم أهل أحد ثم أهل بيعة الرضوان.

وجعل بعض العلماء الصحابة طبقات، فمنهم من أكثر عددها، ومنهم من قللها. فقد جعلهم الحاكم اثنى عشرة طبقة ، هى :

١ – قوم تقدم إسلامهم بمكة، كالخلفاء الأربعة.

٢ – الصحابة الذين أسلموا قبل تشاور أهل مكة فى دار الندوة.

٣ – مهاجرة الحبشة.

٤ – أصحاب العقبة الأولى .

٥ – أصحاب العقبة الثانية .

٦ – أول المهاجـــرين الذين وصلوا إلى النبى ـــ صلى الله عليه وسلم ـــ بقباء قبل أن يدخل المدينة.

٧ – أهل بدر .

٨ – المهاجرون بين بدر والحديبية .

٩ – أهل بيعة الرضوان .

١٠– المهاجرون بين الحديبية وفتح مكة.

١١– مسلمة الفتح .

١٢– صبيان وأطفال رأوا النبى ـــ صلى الله عليه وسلم ـــ يوم الفتح وفى حجة الوداع وغيرهما.

وجعـــلهم محمـــد بن سعد خمس طبقات. واقتصر ابن حجر فى كتابه على أربـــع سماها أقساما، وأولها فيمن وردت صحبته بطريق الرواية عنه أو غيره، سواء كانت الطريقة صحيحة أو حسنة أو ضعيفة أو وقع ذكره بما يدل على الصحبة بأى

طريق كان . وثانيها فيمن ذكر فى الصحابة من الأطفال الذين ولدوا فى عهد النبى ــ صلى الله عليه وسلم ــ لبعض الصحابة من النساء والرجال ممن مات ــ صلى الله عليه وسلم ــ وهو فى دون سن التمييز. وثالثها فيمن ذكر فى الكتب المذكورة مــن المخضرمين الذين أدركوا الجاهلية والإسلام، ولم يرد فى خبر قط أنهم اجتمعوا بالــنبى ــ صــلى الله عليه وآله وسلم ــ ولا رواه، سواء أسلموا فى حياته أم لا، وهــؤلاء ليسوا أصحابه باتفاق من أهل العلم بالحديث، وإن كان بعضهم قد ذكر بعضهم فى كتب معرفة الصحابة، فقد أفصحوا بأنهم لم يذكروهم إلا لمقاربتهم لتلك الطــبقة لا أنهم من أهلها. وآخر الأقسام فيمن ذكر فى الكتب المذكورة على سبيل الوهــم والغــلط، وبيــان ذلــك البيان الظاهر الذى يعول عليه على طرائق أهل الحديث، ولم يذكر فيه إلا ما كان الوهم فيه بينا، وأما مع احتمال عدم الوهم فلا، إلا إن كان ذلك الاحتمال يغلب على الظن بطلانه.

وحاول المؤرخون أن يتتبعوا ازدياد عدد الصحابة على مر الأيام، فأفلحوا فى أكثر المواطن. ذكر ابن إسحاق أن جميع من لحق بأرض الحبشة مهاجرا إليها من المسلمين ثلاثة وثمانون رجلا. سوى أبنائهم الذين خرجوا بهم معهم صغارا أو ولدوا بالحبشــة. وذكر أن أصحاب العقبة الأولى اثنا عشر رجلا، على حين شهد العقبة الثانية سبعون والأخيرة سبع وتسعون.

وبــلغ عــدد المقاتــلين فى بــدر ٣١٣ أو ٣١٤ ، كان ٨٣ منهم من المهاجرين، و٦١ من الأوس، و٧٠ من الخزرج.

وذكــر مســور بــن مخرمة ومروان بن الحكم أن الذين شاركوا فى بيعة الرضــوان كان ٧٠٠ مسلم . واختلفت الرواية عن جابر بن عبد الله ، فذكر ابن إسحاق أنه جعل عددهم ١٤٠٠، وذكر سعيد بن المسيب أنه جعلهم ١٥٠٠.

وارتفع العدد عند فتح مكة إلى ١٠٠٠٠ ثم فى غزوة حنين إلى ١٢٠٠٠.

ابن أم حرام [1]

هـــذا رجل يحار من يتعرض له ، إذ يرى الظلام يحيط به من جميع الأنحاء، فيتـــلمس طريقه ويتحسسه خطوة بعد خطوة. فالنزاع والخلاف بين المؤرخين يكاد يشمل كل ما يتصل به، وينسب إليه من أقوال وأفعال.

والخـــلاف الأول فى اسمه الأول. فكل من ترجم له وضعه تحت اسم " أبى" وعلى الرغم من ذلك، أوردوا القول المنسوب إلى إبراهيم بن أبى عبلة ، الذى قال إنـــه رأى الرجل وسمع منه وروى عنه. قال : إنه لم يكن يسمى أبيا ، بل هـــــو أبـــو أبى. وارتضى ابـــــن أبى حاتم هذا القول، وقال: من قال : أبى أخطأ، إنمـــا هو أبو أبى ... وعلل بهذا عدم تعرض البخارى له فى تاريخه الكبير.

ولا عجـــب أن يميل المرء إلى قول إبراهيم بن أبى عبلة لأنه التقى بالرجل ، ولأنه من اليسير أن يظن القارئ إذا ما وقع نظره على "أبى أبى" أن الكلمة تكررت نتـــيجة هفـــوة أو غفلة وإذن فالرجل الذى أمامنا كان يكنى " أبا أبى" ، فإذا كان الأمر كذلك ، فما اسمه ؟ .

قـــال إبراهيم بن أبى عبلة : اسمه عبد الله. وذلك هو الأرجح. وأورد ابن حجـــر فى «تهذيب التهذيب» أن ابن حبان حكى فى الصحابة ان أسمه « شمعون» ولم يتابعه أحد فى قوله .

---

[1] نشر فى منبر الإسلام ـــ ديسمبر ١٩٦٣م

واختلف فى اسم ابيه. فقال ابن عبد البر فى الاستيعاب: "قيل: عبد الله بن أبى. وقيـــل : عبد الله بن كعب" . واستبعد ابن حجر فى التهذيب الاسم الأول، إذ قال : "قال ابن عبد البر: بعضهم يقول: عبد الله بن أبى. وهو خطأ".

وقـــال ابن أبى حاتم : يقال : ابن عبادة . وذكر ابن حجر فى الإصابة أن البغوى حكم أن اسمه كذلك.

ولكـــن مـــن ذهبوا إلى أن اسمه " أبى" جعلوا اسم أبيه عمارة. وافترقوا فى عيـــنه فريقين أجمل النووى آراءهم فى قوله : " هو مكسور العين، ويقال : بضمها والكســـر أشـــهر. وبـــه جزم أبو نصر بن ماكولا وآخرون من أئمة هذا الشأن. وحكى جماعة فيه الكسر والضم جميعا منهم الحفاظ أبو عمر بن عبد البر، وأبو بكر الـــبيهقى، وأبو محمد عبد الغنى المقدسى، وآخرون. وكل من حكى الوجهين قال: الكســـر أشهر وأكثر إلا ابن عبد البر فقال : الأكثر على الضم. واتفقوا على أنه ليس فى الأسماء عمارة بالكسر غيره " .

ويتفق مع النووى فيما رواه عن ابن عبد البر كل من نقل عن الاستيعاب، وإن كـــانت النســـخة المطبوعة منه تخالفهم وتقول: "الأكثر يقولون : ابن عمارة بكسر العين".

وأمـــا الذيـــن رأوا أنه كان يكنى " أبا أبى " فقد ذهبوا إلى أن اسمه الكامل عبد الله بن عمرو بن قيس، كان من بنى سواد بن مالك بن غنم ثم من بنى النجار، ثم من الخزرج من الأنصار.

ولعلـــنا لا نـــبعد عـــن الصواب حين نخرج من كل هذا الخلاف بما يشبه الاطمئـــنان إلى أن الرجل كان يسمى "أبا أبى عبد الله بن عمرو النجارى الخزرجى الأنصارى" .

ويهجس فى نفسى خاطر لا سبيل إلى تأكيده: أن عمرا وعمارة اسمان أطلقا على رجل واحد. وربما كان أحدهما تدليلا ، وخاصة أن النسب مكتمل مع عمرو، ومقطوع مع عمارة.

ويبدو أن هذه التفرقة بين عمرو وعمارة تسببت فى كثير من الأحكام الخاطئة أو المتناقضة، مثل ما أورده النووى من أن بعض العلماء أنكر كون أبى أبى من الصحابة.

وقد ذكر الواقدى وأبو معشر أباه وأخاه قيسا فيمن شهد غزوة بدر. ولكن ابن إسحاق لم يتفق معهما، بل ذكر عشرة من بنى سواد بن مالك بن غنم شهدوا بدرا، وليس فيهم الرجلان، وصرح ابن الأثير ألا خلاف بين المؤرخين أن أباه وأخاه استشهدا بأحد.

أما أمه فهى أم حرام بنت ملحان النجارية الأنصارية، خالة أنس بن مالك. وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكرمها، ويزورها فى بيتها، يقيل عندها، ودعا لها بالشهادة، فاستشهدت بقبرص فى خلافة عثمان بن عفان.

وافترق الأب والأم: ولست أدرى يقينا متى كان ذلك؟ أبعد استشهاد الرجل فى أحد أم قبل ذلك كثيرا و إن كنت أرجح التاريخ الثانى لما يقال عن أبى أبى عبد الله .

وتزوجت أم حكيم من عبادة بن الصامت، فربى ابنها عبد الله . واشتدت الصلة بين الرجل وربيبه حتى أخطأ بعض الناس وظنوها لونا من القرابة، فقالوا عن عبد الله : أنه ابن أخت عبادة، وقالوا ابن أخيه.

وأخطأ ابن سعد فى تعاقب الزوجين على أم حكيم قال ابن حجر فى تهذيب التهذيب : " قال ابن سعد: تزوجت (أم حكيم) عبادة بن الصامت فولدت له محمدا، ثم خلف عليها عمرو بن قيس بن زيد بن سواد الأنصارى كذا قال،

والصـــحيح العكـــس. فقد قال غير واحد، وثبت عن غير واحد، أنها خرجت مع زوجها عبادة فى بعض غزوات البحر وماتت فى غزاتها" .

ووصـــف ابـــن عـــبد الـــبر عبد الله بأنه " كان قديم الإسلام، ممن صلى القبلـــتين". واقتصر ابن عبد الحكم على قوله : " صلى القبلتين مع النبى صلى الله عـــليه وســـلم " . أما ابن حجر والذهبى فقد قالا: "صلى النبى ـــ صلى الله عليه وســـلم ـــ فى بيـــته" . وزاد ابن الأثير والنووى الأمر وضوحا وتحديدا، إذ قالا : "صـــلى مع النبى صلى الله عليه وسلم فى بيته إلى القبلتين" وخالفهم ابن عبد البر، فذكـــر أن الصـــلاة لم تكن فى بيته وإنما فى بيت أبيه. وأحسب أن سبب الخلاف كنيته، إذ ظن جماعة أنها تشير إلى أبيه وجماعة أنها تشير إليه.

وبالرغم من قدم إسلام عبد الله ، صرح ابن سعد وابن حجر فى التهذيب أنـــه لم يشهد غزوة بدر، التى شهدها أبوه وأخوه. ثم لم يذكر أحد من المؤرخين أنه شهد أيه غزوة أخرى. ولعل ذلك كان لصغر سنه.

ولكـــن المؤرخين لم يذكروه فى الفتوح أيضا. ولعله اشترك فيها، غير أنه لم يكن له نصيب بارز، يلفت إليه الأنظار، فيسجل له. وكان هذا النصيب فى حروب الشام. فقد انتقل من المدينة وسكن الشام. وبقى به إلى أن مـــات ببيت المقدس أو دمشق. ذكر يحيى بن منده أنه آخر من مات بفلسطين من الصحابة. وترك عقبا له فى بيت المقدس.

ويـــبدو أن عـــبد الله انتقل من الشام ـــ فى أثنـــاء إقامته به ـــ إلى مصر، لأمـــر مـــا. بل ربما سكنها مدة، كما قال ابن حجر والنووى والخزرجى وابن عبد الحكـــم. وروى المصريون عنه فأدخله أبو زرعة فى مسند المصريين. وروى عبد الله عن النبى صلى الله عليه وسلم، وعن مربيه عبادة بن الصامت.

وروى عنه إبراهيم بن أبي عبلة، وعبادة بن نسى، وضمضم بن المثنى الاملوكى. وأخطأ بعضهم فى الرواة عنه. قيل فى تهذيب التهذيب : " ذكر أبو الفتح الأزدى فى المخزون: لا يحفظ أنه روى عنه غير أيوب بن قطن. وقال ابن عبد البر: روى عنه عبادة بن نسى. وقوله صواب، فان أيوب بن قطن أو وهب ابن قطن إنما روى عنه بواسطة عبادة بن نسى. وهكذا رواه أبو داود وابن حبان والبغوى وغيرهم. وسقط عبادة بن نسى من نسخة ابن ماجه المطبوعة. وجنت كنيته عليه مرة أخرى، فاضطرب المؤرخون فيه. يمثل ذلك الاضطراب ابن حزم فى رسالة أسماء الصحابة الرواة وما لكل واحد من العدد. فقد وضع فى أصحاب الأفراد ــ أى رواة الحديث الواحد ــ من أسماهم : أبا أبي (٣١٠) وأبا أبي الأنصارى (٣٠٢) ، وأبا أبي عمارة (٣٠٥)، وأبا أبي بن أم حرام (٣٠٤). ووضع بين أصحاب الاثنين أنه روى حديثا واحدا عن المسح على الخف.

وربما كان أدق من عبر عن هذه المسألة ابن عبد الحكم الذى لم يعمم القول وحدده حين قال إن المصريين لهم عنه حديث واحدا ، فلا ينفى ذلك أن يروى عنه غير المصريين غير ذلك الحديث، وذلك هو الحق.

جاء فى طبقات ابن سعد: "أخبرنا قبيصة بن عقبة قال: حدثنا سفيان ، عن منصور ، عن هلال بن يساف، عن أبي المثنى الحمصى، عن أبي ابن امرأة عبادة بن الصامت قال : كنا جلوسا عند رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ فقال : إنه ستجيء أمراء ، تشغلهم أشياء يؤخرون الصلاة حتى لا يصلوا الصلاة لوقتها، فقال رجل : يا رسول الله ، ثم نصلى معهم؟ قال : نعم " .

وجاء فى الاستيعاب: ذكر أبو أحمد الحافظ قال: أخبرنى أبو الحسن أحمد بن عمير قال : حدثنا عبد الله بن محمد بن هارون الفريابى قال : ناعمرو بن بكر بن تميم السكسكى قال : نا إبراهيم بن أبي عبلة قال : سمعت أبا أبي ... يقول : قال

رســـول الله ـــ صلى الله عليه وسلم ـــ «عليكم بالسنا والسنوت فإن فيهما شفاء من كل داء إلا السام . قالوا يارسول الله ، ما السام ؟ قال الموت» . وأورد علاء الديـــن الكحـــال الحديث فى كتابه "الأحكام النبوية فى الصناعة الطبية" ص ٧٢ وأخـــرجه ابـــن ماجـــه. وفســـروا السنا بأنه نبات حجازى، وتعددت أقوالهم فى الســـنوت. فقـــالوا : العسل ، ورُبّ عُكّة السمن، وحَبّ يشبه الكمون وليس به والكمـــون الكرمانى، والرازيانج، والسبت، والتمر ، والعسل الذى يكون فى زقاق السمن.

وأخيرا الحديث الذى قيل إنه انفرد به، وأثار عدة مناقشات وأقوال ، قال ابن عبد الحكم فى فتوح مصر: "يحيى بن أيوب، عن عبد الرحمن بن رزين، عن محمد ابـــن يـــزيد بـــن أبى زياد، عن أيوب بن قطن، عن أبى عمارة٠٠٠ قال : قلت : يارسول الله ، أمسح على الخفين ؟ قال : نعم . قلت : يوم ؟ قال: ويومان. قلت : ويومـــان؟ قال: وثلاثة. قلت: وثلاثة ، يارسول الله؟ قال : نعم، وما بدا لك٠٠٠ حدثناه سعيد بن عفير. قال : وحدثناه عمرو بن سواد، عن ابن وهب، عن يحيى بن أيـــوب، عـــن عبد الرحمن بن رزين، عن محمد بن يزيد بن أبى زياد، عن أيوب بن قطن، عن عبادة بن نسى، عن أبى بن عمارة. ولم يذكر ابن عفير عبادة بن نسى" . وأخرجه أبو داود وابن ماجه والحاكم.

فالغريب أن ابن الأثير وابن حجر أوردا الحديث عن سعيد بن عفير، وذكر فى ســـنده عـــباده بن نسى، ثم قالا: "رواه عمرو بن الربيع بن طارق، عن يحيى بن أيوب، ولم يذكر عبادة بن نسى". ومر قول ابن حجر : "رواه أبو داود وابن حبان والبغوى وغيرهم. وسقط عبادة بن نسى من إسناده عند ابن ماجه وحده"

ولذلـــك طعن المحدثون فى الحديث . قال ابن عبد البر: اضطرب فى إسناد حديـــثه. وقـــال أبو داود : اختلف فى إسناده وليس بالقوى. وقال ابن حجر فى الإصـــابة: الإسناد ضعيف. وقال ابن حبان فى الصحابة: لست أعتمد على إسناد خـــبره. وقـــال الدارقطنى: إسناده لا يثبت . وقال ابن معين: إسناده مظلم. وقال الـــبخارى: إســـناده مجهول. وقال أحمد بن حنبل : رجاله لا يعرفون. وأخيرا قال النووى: اتفق الحفاظ على أنه حديث ضعيف مضطرب.

ولا يقتصر النقاش على سند الحديث بل يتعداه إلى متنه أيضا. فقد أوردت كتب الأحاديث عن على بن أبى طالب ، وصفوان بن عسال، وخزيمة بن ثابت: أن رســـول الله صـــلى الله عليه وسلم «رخّص للمقيم أن يمسح على خفه يوما وليلة، وللمسافر ثلاثة أيام بلياليهن».

وأخـــيرا وقع بعض العلماء فى أخطاء أخرى نتيجة الخلط بين رجلنا ورجل آخر، كان يدعى أبى بن عمارة العبسى. قال ابن حجر فى الإصـــــابة عن رجلنا: " ذكر ابن الكلبى عن أبيه أنه أدركه، وأن أباه عمارة أدرك خالد بن سنان العبسى الـــذى يقال إنه كان نبيا" . وقال فى ترجمة العبسى : "فيحتمل أن يكونا واحدا" . وفى خلدى أنه احتمال بعيد، فخالد وعمارة الذى أدركه عبسيان، أما الرجل الذى درسناه فأنصارى .

******

أبو الأعور السُّلَمى[1]

للأدب العربى فى مصر قصة تختلف بعض الاختلاف عن قصته فى غير مصر من أقطار العروبة. فقد بدأت دراسة الأدب العربى المصرى بمعركة عنيفة دارت بين مؤرخى الأدب حول أساس هذا الأدب: هل وُجد أدب عربى مصرى؟. أو إن شئنا الدقة: هل وجد أدب يستحق هذه التسمية، أو لم يوجد ؟ .

وكـــان ســـبب هذه المعركة عدم حصولنا على نصوص من الأدب العربى المصرى، فى العهود الإسلامية الأولى، تتوفر لها الكثرة والجودة، فتحسم الأمر. فقد ذهبت فئة من الدارسين إلى أن العرب الذين نزلوا مصر لم ينتجوا أدبا، وافترضت طائفة أخرى، أن شأنهم شأن إخوانهم من العرب. أنتجوا الأدب، ولكن الآثار التى دوَّنت هذا الأدب ضاعت فيما ضاع من تراث العروبة.

ومـــنذ ذلك الحين، والقائمون بدراسة الأدب العربى المصرى فى صراع مع مصادر الأدب ومراجعه بحثا عن نصوص وشعراء ينتمون إلى الأدب المصرى. وإن الدارس فيهم ليفرح بالنص الصغير يعثر عليه فرحته بالكنز الضـــــــائع الذى لا أمل فيه.

واليوم أقدِّم للدارسين شاعرا حلّ بمصر مدة من الزمن، ولم يلتفت إليه أحد من مؤرخى الأدب المصرى.

---

(1) نشر فى مجلة المجلة ــ فبراير ١٩٦٠م

كُنى أكثر من واحد من الصحابة والتابعين الأولين أبا الأعور، وعُرف اثنان منهم باسم عمرو بن سفيان. فجلب هذا الكثير من الخلاف بين المؤرخين فى كثير من الأمور التى تتصل بالرجل الذى نعنى بدراسته.

ولذلك يجب على الباحث قبل أن يتكلم عن الشخص المراد، أن يذكر كلمة عن رجلين:

أوّلهما: أبو الأعور الذى ذكره ابن سعد فى طبقاته (ج ٣ ق ٢ ص ٧٠)، وروى أنه شهد بدرا وأحدا وليس له عقب ، وبيَّن أن الناس تخطئ فى اسمه، وأن صحبته الحارث بن ظالم بن عيسى من بنى النجّار من الأنصار .

والثانى : عمرو بن سفيان الثقفى، الذى شهد موقعة حُنين مع المشركين، ثم أسلم ، وسكن الشام بعد الفتوح.

ولعلّ أولَ ما نعالج من اختلاف المؤرخين فى رجلنا اسمُه . فقد غلبت كنيته على اسمه واشتهر بها فأنسى الناس اسمه. فذهب الأكثرون إلى أنه عمرو بن سفيان، ولكن بعضهم جعله سفيان بن عمرو. وذكر ابن حجر (الإصابة ٤ : ٣٠٢) أن ابن يونس " ذكره فيمن اسمه الحارث ... فقال الحارث بن ظالم بن على أبو الأعور السلمى" . وذكر ابن عبد البر أن بعض الناس لقبّه بالثقفى وليس بشىء.

وواضح الخلط بينه وبين الرجلين اللذين ذكرهما . وإذن فنحن نطمئن إلى أنه أبو الأعور السُّلَمىّ عمرو بن أبى سفيان بن عبد شمس بن سعد ... من بنى سليم [1].

---

(١) يؤكد ذلك قول أيمن بن خريم يذكر وقعة صفين:

وعمرو بن سفيان على شر آلة بمعترك حام أحر من الجمر

انظر : أسد الغابة ٤ : ١٠٩ ، والإصابة ٤ : ٣٠٢ .

ولم يختلف المؤرخون فى أن أمه قريبة بنت قيس بن عبد الله السهمية القرشية، كما اتفقوا على أن ابن أبي حاتم ذكر أن أبا الأعور السُّلمَى أدرك الجاهلية.

ولكن اختلفوا فى صحبته للرسول : فقال مسلم وأبو أحمد الحاكم فى الكُنى: له صحبة . وذكره البغوى وابن قانع وابن سميع وابن منده ويحيى بن معين والطبرى وغيرهم فى الصحابة، ووضعه ابن حجر فى القسم الأول من حرف العين مما يدلُّ على ذهابه إلى أنه صحابى . وقال ابن أبي حاتم عن أبيه : لا صحبة له. وتبعه أبو أحمد العسكرى. وذكره البخارى فيمن اسمه عمرو ، ولكن لم يذكره فى الصحابة. واستصوب ابن عبد البر أنه غير صحابى.

واستتبع ذلك أن قال ابن أبي حاتم: إن أبا الأعور لا رواية له عن النبى صلى الله عليه وسلم ، وإن حديثه عنه مُرْسَل يرون غير مباشر . وقال ابن منده : روى عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم ، وروى عنه قيس بن حازم، وأبو عبد الرحمن الحبلى، وعمرو البِكالىّ، رووا عنه قوله صلى الله عليه وسلم : «إنما أخاف على أمتى شحا مطاعا، وهوى متبعا، وإماما ضالا ».

وقال النافون لصحبته إنه شهد حُنَينا كافرا ثم أسلم بعد، هو ومالك بن عوف النضرى، وحدّث بقصة هزيمة هوازان بحُنين. وقد عرفنا أن الذى فعل ذلك هو عمرو بن سفيان الثقفى وليس السُّلَمِي يؤيد ذلك أن السلمى تولىّ قيادة عدة جيوش، والطبرى يقول: (١ : ٢٣٩٨) : "وكانت الرؤساء تكون من الصحابة حتى لا يجدوا من يحتمل ذلك منهم " وإذن فنحن نرجّح أنه صحابى.

وأبلى أبو عمرو (الأعور) فى فتوح الشام بلاء حسنا. فكان على رأس إحدى الفرق فى موقعة اليرموك سنة ١٣ هـ، وكان واحدا من عشرة قواد سرّحهم أبو عبيدة الجرّاح للاستيلاء على فحْل ، وكان القائد الذى صالحه أهل

طـبرية . ونـال جزاءه إذ استخلفه عمرو بن العاص على الأردن سنة ١٥ هـ. وشارك فى غزو عمورية وقبرص، وكان أمير جيش الشام فى المعركة الأولى.

ويـبدو أنـه بقى أميرا على الأردن طوال عهد عمرو وعثمان، فقد مات الثانى وهو والٍ عليها. وقيل إن أبا الأعور كان الرسول الذى بعثه عثمان بن عفان إلى سـعد بن أبى سرح أمير مصر ليأمره بقتل وسجن وضرب المصريين الذين ثاروا على الخليفة وساروا إليه فى عاصمته .

وكـان أبو الأعور حليف أبى سفيان بن حرب، ولذلك اتصل بابنه معاوية فى أثـناء ولايته الشام، وناصره فى حروبه مع على بن أبى طالب، حتى وُصف بأنه كان "من أصحاب معاوية وخاصته. وأشد من عنده على على بن أبى طالب، فكان على يدعو عليه فى القنوت" .

واضطلع فى معارك صِفّين بين على ومعاوية بنصيب عظيم، جعل المؤرخين يقولـون : " عليه كان مدار الحرب بصفين " فقد وضعه معاوية على مقدمة الجند الخارجين من الشام لملاقاة على، وكان يسير تحت لوائه أهل الأردن [1].

فكـان أول من قاتل أهل العراق تحت قيادة الأشتر فى قناصرين، كما حمل العبء الأكبر فى القتال الذى دار فى أول يوم من أيام صِفّين على الماء ، ولكنه هُزم فى المعركتين.

وعـندما اسـتقرَّ الأمر بالجنود جميعا فى صفين جعله معاوية على الميسرة، وكان ينتدبه لمبارزة العراقيين.

---

(١) قـال نصر بن مزاحم : "فخرج أهل حمص عليهم أبو الأعور السلمى، ثم نودى : أين أهل الأردن؟ فى رايـاتهم عليهم سفيان بن عمرو السلمى" (وقعة صفين ٥٤) والنص واضح فى الاضطراب. وقال أيضا: "وعلى مقدمة من أقبل من دمشق أبو الأعور السلمى، وكان على خيل أهل الشام . ولعل المراد أهل الأردن، أو لعله تنقل بينهما".

قال نصر بن مزاحم (وقعة صفين ٢١٩): " وكان على عليه السلام يخرج الأشتر مرة فى خيلة، وحجر بن عدى مرة، وشبث بن ربعى مرة ... وكان معاوية يخرج إليهم عبد الرحمن بن خالد بن الوليد المخزومى، ومرة أبا الأعور السلمى، ومرة حبيب بن مسلمة الفهرى، ومرة ابن ذى الكلاع، ومرة عبيد الله ابن عمر بن الخطاب ، ومرة شرحبيل بن السمط، ومرة حمزة بن مالك الهمدانى".

وكان لواء الشام مع أبى الأعور السلمى، كما اضطلع بدور هام فى مكيدة رفع المصاحف، إذ أقبل على برذون أبيض بين صفوف المتقاتلين، وقد وضع المصحف على رأسه ، وهو ينادى : "يا أهل العراق، كتاب الله بيننا وبينكم" . وكان أحد الشهود على وثائق التحكيم.

وبعد الفراغ من معارك صِفّين، كان أبو الأعور أحد المستشارين الذين استشارهم معاوية فى فتح مصر، فأشاروا عليه بافتتاحها. فجاء مع جند عمرو بن العاص قائدا لأهل الأردن سنة ثمان وثلاثين هجرية. واشترك معه فى موقعة المُسناة التى قال عنها ابن العاص: (ولاة مصر ٥٢) : "شهدت أربعة وعشرين زحفا، فلم أر يوما كيوم المسناة، ولم أر الأبطال إلا يومئذ" .

ولست أدرى أطال بقاء أبى الأعور فى مصر أم قصر، ولكن يغلب على ظنى أنه غادرها بعد استتباب الأمن فيها، واستخلاص ابن العاص لها.

ولم يكن ذلك آخر عهد أبى الأعور بمصر، بل جاء إليها مرة أخرى، وشارك فى حروبها. فقد جاء مع جند مروان بن الحَكَم سنة خمس وستين لاستخلاصها من أيدى الزُّبَيريين[1] .

---

(1) شك ابن عساكر فى مجيئه إلى مصر مع مروان .

ثم لا نعــود نسمع عنه، حتى إننا لا ندرى متى كانت وفاته. وكأنه لم يكن يــبرز إلا فى الحروب والمعارك. والحق إنه كان فارسا شجاعا، حتى قال بعض ولد العباس بن مرداس السلمى فى فرسه: (البيان والتبيين ١ : ١٥١):

جاء كلمع البرقِ جاش ناظرُهْ
يسبح أولاه ويطفو آخـــره
فما يمسُّ الأرضَ منه حافــره

وأقــام بعض أقارب أبى الأعور فى مصر، وتبوَّؤوا مراكز رفيعة. فاستخلف عتبة بن أبى سفيان واليها ابن أخت لأبى الأعور على إمرتها، حين غادر مصر ووفد على أخيه معاوية . (ولاة مصر ٥٨) .

ولم يصــل إليــنا من شعر أبى الأعور السلمى الكثير. وصلت إلينا أبيات قلائل قالها فى معارك صفين.

فقد روى نصر بن مزاحم (وقعة صفين ٤١٢) أن أبا الأعور حمل ذات مرة على أهل العراق، وهو يقول :

أضربهم ولا أرى عليــــــــا
كفى بهذا حَـزَنا عليــــــــا

وحمل مرة أخرى وهو يقول (وقعة صفين ٣٠٢) :

أنا ابن الأعــور واسمى عمرْو
أضرب قُدما لا أوَلِّ الدُّبــرْ
ليس بمثلى يا فتى يُغتَـــــر
ولا فتى يلاقينى يُسَـــــر
أحمى ذ مارى والمحامى حُـــر
جرى إلى الغايـــات فاستمر

هـــل قـــال أبو الأعور السلمى شعرا أو رجَزا فى مصر. لقد أنطقته معارك صـــفّين ما ذكرنا من رجز، فهل أنطقه يوم المسناة الذى وصفه عمرو بن العاص بما وصـــف، أو معارك مروان العنيفة مع الزبيريين من أهل مصر رجزا أو شعرا ضاع، ولم يصل إلينا، شأن بقية الشعر المصرى العربى؟ . ليس ذلك ببعيد .

المراجـــع

١ – ابن الأثير : أسد الغابة: ٤ : ١٠٨، ١٠٩ ، ٥ : ١٣٨ .

٢ – ابن الأثير : الكامل (طبع أوروبا ـــ انظر الفهارس) .

٣ – الجاحظ : البيان والتبيين ١ : ١٥١ (طبع عيسى الحلبى).

٤ – ابن حجر : الإصابة : ٤ : ٣٠٢ .

٥ – ابن سعد : الطبقات الكبير ج ٣ ، ق ٢ ، ص ٧٠ (طبع أوروبا) .

٦ – السيوطى : حسن المحاضرة فى أخبار مصر والقاهرة .

٧ – الطبرى : تاريخ (طبع أوروبا ـــ انظر الفهارس).

٨ – ابن عبد البر : الاستيعاب : ٤٥٦ ، ٦٤٢ .

٩ – ابن عبد الحكم : فتوح مصر والمغرب ١٠٨ ، ٦٠٩ (تحقيق تورى) .

١٠– ابن عساكر : تاريخ دمشق : ٢٥ : ٧٦٦ ، مخطوط بدار الكتب المصرية تحت رقم ٤٩٢ تاريخ .

١١– الكندى : ولاة مصر : ٥٢ ، ٦٥ ـــ ٦٧ (تحقيق حسين نصار) .

١٢– المسعودى : مروج الذهب : ٤ : ٣٥١ ، ٤٣١ (طبع أوروبا) .

١٣– نصر بن مزاحم : وقعة صفين (طبع عيسى الحلبى ـــ انظر الفهارس) .

****